

السَّنة السَّابِعَةُ وَالسُّتُونَ بَعْدَ الْمِئَةِ

فيها جدُّ المهديُّ في طلب الزَّنَادِقَةِ، وكتب إلى الآفاق بسببهم، وقتل صالح بن عبدِ القُدُوس، وأحضر بين يديه آدمُ بن عبدِ العزيز بنِ عمرَ بن عبدِ العزيز - وكان شاعراً ماجناً خليعاً ثم تنسك، وكان يُرمى بالزَّنَدَقَةِ - فقال له المهديُّ: زعموا أنك زنديق، فأنكر، فضربه ثلاث مئة سَوط، فقال: والله ما أشركتُ بالله طَرْفَةَ عين، ولو قطعْتِي إِرْباً إِرْباً ما أقررتُ على نفسي بباطل، قال: ألسْتَ القائل: [من مجزوء الرمل]

إسقني واسق خليلي في مدى الليل الطويل
قهوة صفراء^(١) صرفاً سُبيث من نهر بيل^(٢)
قل لمن يلحاك فيها من فقيه أو نبيل
أنت دُعها وارحُ أخرى من رحيق السلسبيل
فقال: يا أمير المؤمنين، كنتُ فتى من فتيان قريش أمجن مع الفتيان بلساني، واعتقادي مع ذلك التوحيد والإيمان بالله، فلا تؤاخذني بما أسلفت، فالتوبة تجب ما قبلها، واحفظ في عمرك، فخلّى سبيله.

وبات آدمُ ليلةً ببغداد فأكلته البراغيث، فقال: [من الطويل]

تطاول في بغداد ليلي ومَن يبيت ببغداد يلبث [ليله] غير راقِد
بلاداً^(٣) إذا زال النهارُ تقافزت براغيثها من بين مثنى وواحد
ديازجة^(٤) شُهْبُ البطونِ كأنها بغالٍ بريدٍ سُرحت في مواردٍ
وهذه الأبيات من قصيدة يمدح فيها الرِّيَّ، أولها:

هنيئاً لأهل الرِّيِّ طيبٌ بلادهم وواليهم الفضلُ بن يحيى بن خالدٍ

(١) في تاريخ بغداد ٧/٤٨٥ وتاريخ دمشق ٢/٦٥٧ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٤/٥٧٧: صهباء.

(٢) نهر في بغداد.

(٣) في تاريخ بغداد ٧/٤٨٤: بلاد.

(٤) الديزج: معرب ديزه، وهي لون بين لونين غير خالص. لسان العرب (دزج).

وفيهما أمر المهديّ يقطينَ بن موسى بزيادةٍ في المسجد الحرام، وكان ضيقاً، فقدم يقطينُ فاشترى دُوراً كثيرةً وأدخلها في المسجد، فمات المهديُّ ولم يتمَّ بناؤه.

وفيهما^(١) أظلمت الدنيا ظلمةً شديدةً لليالٍ بقينَ من ذي الحِجَّة، وأمطرت السماءُ رملاً أحمر، ودام ذلك، ثم وقع عقيبه وباءٌ شديد هلك معظمُ أهلِ بغدادَ والبصرة، وأقامت الظُّلمة من السَّحر حتى ارتفع النهار.

وفيهما توفِّي عيسى بنُ موسى.

وحجَّ بالناس إبراهيمُ بن يحيى بن محمدٍ وهو على المدينة، ولمَّا عاد إلى المدينة توفِّي بعد الحجِّ بأيام، وولَّى المهديُّ المدينة إسحاق بن عيسى بن عليّ.

وفيهما توفِّي بشارُ بن بُرد

أبو معاذٍ العُقيلي الشاعر، مولى بني عُقيل، ويقال له: المرعَّث؛ لقوله: [من مجزوء الخفيف]

مَنْ لَطَّبِي مَرَعَّثٍ^(٢) فَاتِنِ الطَّرْفِ وَالنَّظَرِ
قَالَ لِي لَسْتَ نَائِلِي^(٣) قَلْتُ أَوْ يَغْلِبُ الْقَدْرُ
وُلِدَ وَهُوَ أَعْمَى، وَكَانَ يَأْتِي مِنَ التَّشْبِيهَاتِ بِمَا لَا يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ الْبُصْرَاءُ، مِثْلَ
قَوْلِهِ: [من الطويل]

كَأَنَّ مِثَارَ النَّفْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا^(٤) وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
وَكَانَ بَشَارٌ شَاعِراً خَطِيباً، صَاحِبَ مَثْوَرٍ وَمِزْوَاجٍ^(٥) وَسَجْعٍ وَرِسَالٍ، وَهُوَ الْمَقْدَّمُ
فِي الشُّعْرَاءِ الْمَحْدَثِينَ، وَهُوَ بَصْرِيٌّ قَدِمَ بَغْدَادَ، وَشَهِدَ لَهُ أَبُو تَمَّامٍ بِالْفَضْلِ، وَقَالَ الشُّعْرَاءُ
وَلَمْ يَبْلُغْ عَشْرَ سِنِينَ، وَقَالَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ بَيْتٍ جَيِّدٍ، فَمِنْهُ: [من الخفيف]

(١) في (خ): وقال. ولعله سهو.

(٢) في ديوان بشار ٢/ ٤١٤ (ملحقات قافية الراء): قال ريم مرعث. وأخرج الخطيب في تاريخه ٧/ ٦١٠ عن أبي عبيدة: قيل لبشار المرعث لأنه كان يلبس في أذنه وهو صغير رعاتاً، والرعات: القُرط.

(٣) في الديوان: لست والله نائي.

(٤) في الديوان ١/ ٢٧٣: رؤوسهم.

(٥) كذا في (خ)، والمنظم ٨/ ٢٨٩، ولعله أراد: ومزدوج، كما في البيان والتبيين ١/ ٤٩. قال ابن منظور في لسان العرب (زوج): وازدوج الكلام وتزواج: أشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن. وانظر معجم المصطلحات البلاغية ص ٦١٥.

وحديثُ كَالْوَشِي وشيِّ البُرودِ
بِ وَزادت زيادةَ المستزيدِ^(٢)
زَفَرَاتُ تَأكلن صبرَ الجليدِ

ولها مِيسَمٌ كَشَغَرِ^(١) الأَقاحي
نزلتُ في السَّوادِ من حَبَّةِ القلْدِ
عندها الصبرُ عن لقائي وعندي
ومنه: [من مجزوء البسيط]

قلت لفقدي لكم يهونُ
تأسَى على فقدِه العيونُ^(٣)

قالوا العَمَى منكرٌ قبيحٌ
والله ما في الأنامِ شيءٌ
أخذه أبو العلاءِ المعرِّيُّ فقال: [من السريع]

إنَّ العَمَى أَوْلَاكِ إِحسانا
لم يرَ إنسانك إنسانا^(٤)

أبا العَلَا يا ابنَ سليمانا
لو عاينتُ عيناك هذا الوري
وكان أبوه يضربه ويقول: كَفَّ لسانك عن الناس، فقال له: يا أبة، لا تضرني،
وقل لهم إذا شكوني إليك: ليس على الأعمى حَرَج. فقال لهم ذلك، فقالوا: فقه بُرْدِ
أضرُّ علينا من شعرِ بشار.

ومن شعره في ابن هُبَيْرَةَ من أبيات: [من الطويل]

خَليلَكَ لم تَلقَ الذي لا تَعاتبُهُ
ظمئتُ وأيُّ الناسِ تصفو مشاربُهُ
مقارِفُ ذنِبِ^(٦) مرَّةً ومجانِبُهُ
يُجِبُّكَ وإنَّ عاتبته لأنَّ جانبُهُ
توجَّههُ في كلِّ إِرْبٍ ركائبُهُ
مطيَّةً رَحَّالٍ بعيدي مذهبُهُ

إذا كنت في كلِّ الأمورِ^(٥) معاتباً
إذا أنت لم تشربْ مِراراً على القَدَى
فِعِشْ واحداً أو صِلْ أخاك فإنَّه
أخوك الذي إن تدعهُ لُمْلِمَةٌ
إذا كان خراجاً أخوك من الهوى
فخَلَّ له وجهَ الفراقِ ولا تكن
فأعطاه ابنُ هُبَيْرَةَ أربعين ألفاً. وقيل: إنها للمتلِّمَس.

(١) في الديوان ٥/٢ : مضحك كفر.

(٢) هذا البيت من ملحقات قافية الدال ٢٣٠/٢.

(٣) الديوان ٥٣٩/٢، باختلاف يسير.

(٤) قال الصفدي في نكت الهميان ص ٧٥ : ومن المنحول لأبي العلاء المعري... ثم ذكرهما.

(٥) في الديوان ٢٦٦/١ : الذنوب.

(٦) في (خ): ذنبا.

ذِكْرُ وفاته :

بلغ المهديُّ أنَّه هجاه، وشهد قومٌ عليه بالزُّندقة، فأمر المهديُّ بضربه، فضُرب ضربَ المتلف، فمات وقد بلغ نيفاً وتسعين سنة. وقيل: سعى به يعقوبُ بن داودَ إلى المهديِّ وقد هجا أخاه صالحاً لَمَّا ولَّاه المهديُّ البَطِيحَةَ والأهوازَ فقال: [من الطويل] همُ حملوا فوق المنابرِ صالحاً أذاك فضجت من أخيك المنابرُ^(١) وبلغ يعقوب، فدخل على المهديِّ فقال: إنَّ هذا الأعمى الزنديق قد هجاك، فقال: وما الذي قال؟ فقال: أو تُعفيني؟ فقال: لا بدَّ، فقال: قال: [من السريع]

خليفةٌ يزني بعمَّاته يلعب بالدُفِّ وبالصَّولجان
أبدلنا الله به غيره ودسَّ موسى في حِرِّ^(٢) الحَيِّزُرانِ
وكان بشارٌ لما استولى يعقوبُ على المهديِّ وولَّى الزيديةَ نفائسَ الأعمالِ هجاه
فقال: [من البسيط]

بني أُميَّة هبُّوا طال نومكم^(٣) إنَّ الخليفةَ يعقوبُ بنُ داودِ
ضاعت خلافتكم يا قومُ فاطلبوا خليفةَ الله بين النارِ والعُودِ
فقال المهديُّ: عليّ به. فخاف يعقوبُ أن يقدِّم على المهديِّ فيمدِّحه فيعفو عنه،
وكان بشارٌ بالبَطِيحَةِ، وقيل: بالبصرة، فأرسل يعقوبُ غلماناً ليُحضروه إلى المهديِّ
وقال لهم: غرِّقوه في الخرَّارة بالبَطِيحَةِ.

وقيل: إنَّ المهديَّ قتله ودفنه على حمَّادِ عَجْرَدِ على تلِّ. فإنَّ صحَّت هذه الرواياتُ
فقد تقدَّمت وفاته؛ لأنَّ المهديَّ نكب يعقوبُ في سنة ستِّ وستين ومئة، وعلى قول مَنْ
يقول: إنه دُفن على قبرِ عَجْرَدِ، فقد تأخَّرت وفاته؛ لأنَّ عَجْرَداً هلك سنة ثمانٍ وستين
ومئة، والله أعلم.

الحسنُ بن صالحِ بن حَيِّ

أبو عبدِ الله الكوفيُّ، من الطبقة السادسة. كان ناسكاً عابداً فقيهاً ورِعاً، كان يسمَّى

(١) الديوان ٢/ ٤٠٤ (ملحقات قافية الرءاء).

(٢) الحجر: فرج المرأة. والبيتان في الديوان ٢/ ٥٣٤.

(٣) رواية الديوان ٢/ ١٥٥: يا أيها الناس قد ضاعت خلافتكم.

حَيَّة الوادي؛ لأنَّه ما كان ينام الليلَ ولا يقبل برَّ أحد، وكان يُفطر على خُبز الشعير.
وقال: فَتَشْنَا على الورع فلم نجدَه في شيءٍ أعزَّ منه في اللسان.

وقام ليلة ب ﴿عَمَّ يَسَاءَ لُونٌ﴾ [النبا: ١] يردِّدها ويبكي ويُغشى عليه، ثم يُفبق
فيردِّدها إلى الصباح. وكان يصلي الليل كله ثم يجلس في مصلاه، ويجلس أخوه عليُّ
يبكي في حجرته، وتجلس أمُّهما تبكي في غرفتها.

وقال خَلْفَ بَنُ تميم: لما مات عليُّ وماتت الأمُّ ومات حسن، رأيته في المنام،
فقلت: ما فعلت الوالدة؟ فقال: بُدِّلت والله بذاك البكاءِ سرورَ الأبد. قلت: وعليُّ
وأنت؟ فقال: وهل نَتَكَلَّ إِلَّا على عفوه.

وكان حسنٌ إذا صعد المنارة ليؤذَنَ أشرف على المقابر، فإذا نظر إلى الشمس تحوم
على القبور صرخ وغُشي عليه، فيحمل إلى منزله. وكان إذا خرج في جنازة فنظر إلى
اللحد فيغشى عليه، فيحمل على النَّعش إلى بيته.

وكان لَمَّا مات ابنُ سَتِّين سنة، واتفقوا على أنه كان ثقةً صحيحَ السَّماع كثيرَ
الحديث.

أَسَدٌ عن أبي إسحاق السَّيِّعي وأعيانِ التابعين، وشغله الخوفُ عن الرواية.

صالح بن عبد القدوس

أبو الفضل البصري، مولى الأزدي. كان شاعراً فصيحاً فاضلاً متكلماً، وله الشعرُ
الرائقُ في الزُّهد وغيره، وقد اتَّهمه المهديُّ بالزُّندقة فأمر بحمله إليه، فلمَّا خاطبه
أعجبه غزارةُ علمه وأدبه وحُسنُ بيانه، فأمر بإطلاقه، فلما ولَّى رَدَّه وقال له: أَلَسْتُ
القائل: [من السريع]

والشيخُ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رَمْسِهِ
إذا ارعوى عادَ إلى جهله كذي الضَّنَى عاد إلى نُكْسِهِ
قال: بلى، قال: وأنت لا تترك أخلاقك^(١)، ونحن نحكم فيك بحكمك. ثم أمر به
فقتل وُصَلب على الجسر.

(١) في (خ): أخلاقه. والمثبت من المصادر، انظر طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٩٠، وتاريخ بغداد ١٠/
٤١٣، ووفيات الأعيان ٤٩٣/٢، وتاريخ الإسلام ٤١١/٤.

وأول هذه الآيات :

كالعُود يُسقى الماء في غرسه
بعد الذي أبصرت من يُبسه
ليدرك الفرصة في أنسه
حتى يرى الفرصة في فرسه
ما يبلغ الجاهل من نفسه
حتى يوارى في ثرى رَمسه
كذي الضنى عاد إلى نكسه

وإنَّ مَنْ أدبته في الصِّبا
حتى تراه ناضراً مُورِقاً
والقَ أخا الضُّغن بإيناسه
كاللِّيث لا يفرس أقرانه
ما يبلغ الأعداء من جاهلٍ
والشيخ لا يترك أخلاقه
إذا ارعوى عاد إلى جهله

ومن شعره: [من الكامل]

ويظلُّ يرقع والخطوبُ تمزُّقُ
من أن يكون له صديقٌ أحق
إنَّ الصديقَ على الصديقِ مصدِّقُ
يُبدي عيوبَ ذوي العقول المنطق
مَنْ يُستشار إذا استُشير فيُطرق
فيرى ويعرف ما يقول فينطق
تركته حين يُجرُّ حبلٌ يفرق
إنَّ الغريبَ بكلِّ نبلٍ يُرشق
قدمات من عطشٍ وآخرُ يغرق
بالجدِّ يُرزق منهم مَنْ يُرزق
ألفيت أكثرَ مَنْ ترى يتصدَّق
ألفيت مَنْ تبع العرائسَ^(٤) يعبق

المرءُ يجمع والزمان يفرِّق
ولأنَّ يعادي عاقلاً خيرٌ^(١) له
فارغبْ بنفسك لا تصادقُ أحمقاً
وزن الكلام إذا نطقت فإنما
ومن الرجال إذا استوت أخلاقُهُم^(٢)
حتى يُجِيلَ بكلِّ وادٍ قلبه
وإن امرؤ لسعته أفعى مرّة
لا ألقينك^(٣) ثاويًا في غربةٍ
ما الناسُ إلَّا عاملان فعاملُ
والناسُ في طلب المعاشِ وإنما
لو يُرزقون على وزن عقولهم
وإذا الجنازة والعروسُ تلاقيا

(١) في (خ) وتاريخ بغداد ٤١٤/١٠ : خيراً، والمثبت من تاريخ الإسلام ٤١٢/٤.

(٢) في تاريخ بغداد، ووفيات الأعيان ٤٩٣/٢ : أحلامهم.

(٣) في (خ): لألقينك. وهو خطأ.

(٤) في (خ): الجنازة. وهو خطأ. والمثبت من المصادر

ورأيت مَنْ تبع الجنازةً باكياً
لو سار ألفُ مدججٍ في حاجةٍ
إن الترفُّقَ للرفيقِ موافقُ
بقي الذين إذا يقولوا يكذبوا
وقال: [من البسيط]

ورأيت دمعَ جوانحٍ^(١) يترقرق
لم يقضِها إلا الذي يترفُّق
وإذا تسابق فالترفُّقُ أسبق
ومضى الذين إذا يقولوا يصدقوا^(٢)

إنَّ الغنيَّ الذي يرضى بعيشته
لا تحقرنَّ من الأيام محتقراً
قد يحقر المرءُ ما يهوى فيركبه
إنَّ العدوَّ إذا أبدى مُكاشرةً
إذا وترتِ امرأً فاحذر عداوته
وقال: [من الوافر]

لا مَنْ يظلُّ على ما فات مكتئبا
كلُّ امرئٍ سوف يُجزى بالذي كسبا
حتى يكونَ إلى توريطه سببا
إذا رأى منك يوماً فرصةً وثبا
مَنْ يزرع الشوكَ لا يحصدُ به عنباً^(٣)

أنسْتُ بوحدتي ولزمتُ بيتي
وأدبني الزمانُ فصرتُ فرداً
ولستُ بقائل ما دمت حياً
ومَنْ يكُ جاهلاً برجالِ دهري
وقال: [من الكامل]

وطاب العيشُ لي ونما السرورُ
وحــــيــــداً لا أزار ولا أزور
أسار الجيشُ أم ركب الأمير
فإنِّي عالمٌ بهمُ خبير^(٤)

لا يُعجبنُّكَ مَنْ يصون ثيابه
ولربِّما افتقر الفتى فرأيتَه
وقال: [من الطويل]

حَدَرَ الغبارِ وعرضُه مبدولُ
دَنَسَ الثيابِ وعرضُه مغسول^(٥)

تخيِّرْ من الإخوانِ كلَّ ابنِ حُرَّةٍ

يسرُّكَ عند النائباتِ بلاؤهُ

(١) في تاريخ بغداد: نوائح.

(٢) وقع في هذا البيت اضطراب في (خ)، فأثبت ما في تاريخ بغداد.

(٣) الأبيات الثلاثة الأول في تاريخ دمشق ٢٠٥/٨ (مخطوط)، وتاريخ بغداد ٤١٥/١٠، ووفيات الأعيان ٢/٤٩٣. والبيتان الأخيران في تاريخ دمشق ٥٠٦/٨.

(٤) تاريخ دمشق ٢٠٥/٨.

(٥) تاريخ دمشق ٢٠٤/٨.

وقارنْ إذا قارنتَ حُرّاً فإنَّما
حبيباً وفيّاً ذا حِفاظٍ بغيبةٍ
أريباً إذا شاورتَ في كلِّ مُشكلٍ
فلن يَهلكَ الإنسانُ إلا إذا أتى
تمسَّكٌ بهذا إن ظفرتَ بوُدّه
قال: [من الطويل]

تجنَّبَ قرينَ السُّوءِ واصرِمَ حباله
ومن يَطلبُ المعروفَ من غيرِ أهله
ولله في عَرَضِ السَّمَاوَاتِ جَنَّةٌ
وقال: [من السريع]

كلُّ إلى الغاية محثوثٌ
فكن حديثاً حسناً سائراً
والمرءُ موروثٌ ومبعوثٌ
بعدك فالدنيا أحاديثٌ (٢)
واختلفوا في قتله هل قتله المهديُّ أو عاش بعده، فقال الخطيب (٣): قتله المهديُّ،
وكان قد هجاه، وبلغه عنه أنه عرَّض برسول الله ﷺ في أبيات.

وقال أبو اليقظان: كان صالحٌ يناظر أبا الهذيل العلاف المعتزليَّ ويظهر عليه دائماً
ويحمِّقه ويستجمله، فحمّله ذلك على أن صنّف كتاباً في الرّندقة وعزاه إلى صالح،
وبعث به إلى المهديِّ وقال: هذا تصنيفُ صالح، فقتله المهديُّ في آخر سنة ثمانٍ
وسّتين ومئة، ومات المهديُّ في المحرم أوائل سنة تسعٍ وسّتين ومئة، فكان بينهما أقلُّ
من شهر.

وقال أحمد بن عبد الرحمن المعبر: رأيت صالحاً في منامي ضاحكاً مستبشراً،
فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: وردت على ربِّ لا تخفى عليه خافية، فاستقبلني
برحمته وقال: قد علمتُ براءتك مما رُميتَ به، فطَبْتُ نفساً وقرَّ عيناً.

(١) تاريخ دمشق ٢٠٦/٨.

(٢) شعب الإيمان ٣٥٧/٦، وتاريخ دمشق ٢٠٤/٨.

(٣) في تاريخه ٤١٣/١٠ - ٤١٤.

وقال الهيثم: لما طلب المهديُّ صالحاً هرب واستخفى منه، ومات المهديُّ وقام الهادي، فلم تَظُلْ أيامه، فلم يطلبه، وولي الرشيدُ وقدام الرقة، فجلس يوماً مجلسَ العامة، فدخل عليه صالحٌ وهو لا يعرفه، فأنشد: [من الكامل]

لَمَّا رَأَتْكَ الشَّمْسُ طَالِعَةً سَجَدْتُ لَوَجْهِكَ طَلَعَةُ الشَّمْسِ
خَيْرُ الْخَلَائِقِ أَنْتَ كَلِّهِمْ فِي يَوْمِكَ الْمَاضِي وَفِي أَمْسِ
مِنْ نَبْعَةٍ طَالَتْ أَرُومَتِهَا أَهْلُ الْوَفَا وَمَعَادِنِ الْقُدْسِ
إِنِّي أَتَيْتُ إِلَيْكَ مِنْ جَزَعٍ كَانَ التَّوَكُّلُ عِنْدَهُ تُرْسِي
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ نِيَّ رَجُلٍ مَا إِنْ أَضَعْتُ إِقَامَةَ الْخَمْسِ

من أبيات، فقال له هارون: مَنْ أَنْتَ؟ فقال: عَبْدُكَ صَالِحٌ، قَالَ: قَدْ عَفَوْنَا عَنْكَ. وَأَمْرٌ لَهُ بَعِشْرَةُ آلَافٍ دَرَاهِمٍ، وَكُتِبَ لَهُ كِتَاباً إِلَى عَامِلِ الْبَصْرَةِ يُوَصِّيه بِهِ^(١).
والظاهر أن المهدي قتل، والله أعلم.

عُتْبَةُ بْنُ أَبَانَ بْنِ صَمْعَةَ^(٢)

ويلقب بعتبة الغلام لصغر سنه، بل لجده في العبادة واجتهاده. وكان كثير التعبُد والبكاء، يصوم الدهر ويُفطر على خبز الشعير والملح الجريش، وكان يعجن دقيقه في الشمس ويأكله ويقول: كِسْرَةٌ وَمِلْحٌ حَتَّى يُهَيِّأَ لَنَا الطَّعَامَ الطَّيِّبَ فِي الدَّارِ الْأُخْرَى. وكان يَضْفِرُ الْحُوصَ وَيَتَّقَوْتُ بِهِ.

وهو من الطبقة السادسة من أهل البصرة.

بكى في مجلس عبد الواحد بن زيدٍ تسع سنين، لا يفتر من البكاء من حين ابتداء عبد الواحد إلى حين يقوم، فقيل له: إِنَّا لَا نَفْهَمُ كَلَامَكَ مِنْ بَكَاءِ عُتْبَةَ، فَقَالَ: تَبْكِي عَيْنُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَنْهَاهَا أَنَا! لَبِئْسَ وَاعِظٌ قَوْمٍ أَنَا!

ونام عُتْبَةُ لَيْلَةً عَلَى جَانِبِ الْبَحْرِ وَقَالَ: إِنَّ تَعَذُّبِي فَإِنِّي لَكَ مُحِبٌّ، وَإِنْ رَحِمْتَنِي فَإِنِّي

(١) الحكاية في زهر الآداب ٢/ ٨٤٠ - ٨٤١، وصاحبها علي بن خليل مولى يزيد بن مزيد الشيباني، لا صالح بن عبد القدوس. والله أعلم.

(٢) في (خ): صنعة. والمثبت من المنتظم ٨/ ٢٩٢، وتاريخ الإسلام ٤/ ٤٥١، والبداية والنهاية ١٣/ ٥٣٦.

لك مُحبّ. فلم يزل يردّها إلى الفجر.

وقال: نأكل الخبزَ والملحَ ونقول: العُرس في الدار الأخرى. وكان يقول: قَطَعَ ذِكْرُ العَرَضِ على الله أوصالَ المحيِّين. وكان يقول: كابدتُ الليلَ عشرين سنةً ثم تنعمت به عشرين سنةً.

وقال عبدُ الواحد بنُ زيد: انطلقتُ أنا وعتبةٌ في حاجة، حتى إذا كنا برحبةِ القَصَّابين إذا بعتبةٍ يعرِّق عرَقاً شديداً، وكان ذلك في يومٍ شاتٍ شديدِ البرد، فقلتُ له في ذلك، فقال: هذا مكانٌ عصيتُ الله فيه.

وكان لعتبةٍ بيتٌ يتعبَّد فيه، فلما خرج إلى الشام أقفله وقال: لا تفتحوه حتى يبلِّغكم موتي، فاستشهد في بعض العرَّوات، ففتحوه وإذا فيه قبرٌ محفورٌ وغُلٌّ من حديد.

وقال قدامة بنُ أيوب: رأيتُ عتبةً في المنام بعد موته، فقلتُ له: يا عتبة، ما فعل الله بك؟ فقال: دخلتُ الجنةَ بتلك الدَّعواتِ المكتوبةِ في حائطِ بيتك. قال: فلما أصبحتُ نظرتُ إلى بيتي، فإذا على الحائطِ مكتوبٌ: يا هاديَ المضلِّين، ويا راحمَ المذنبين، ويا مُقِيلَ عَثَرَاتِ العائرين، ارحمُ عبدك المسكينَ والمسلمينَ أجمعين، واجعلنا مع الأحياءِ المرزوقين، مع الذين أنعمتَ عليهم من النبيِّينَ والصَّديقينَ والشهداءِ والصالحين، آمينَ يا ربَّ العالمين.

عيسى بنُ موسى

ابن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس، أبو موسى.

هو ابنُ أخي السَّقَّاحِ والمنصور، نشأ بالبلقاء، ثم خرج مع أهله إلى العراق، كان جليلاً نبيلاً في أهل بيته، ولي إمرةَ الموسمِ في خلافة عمِّيه، وولاه أبو العباسِ العهدَ بعد أبي جعفر، ومولده سنةً ثلاثٍ أو أربعٍ ومئة، وتوفِّي أبوه موسى غازياً في بلاد الروم سنةً ثمانٍ ومئةٍ وعُمره سبعٌ وعشرون سنةً، وكان عيسى طفلاً، فضمَّه إليه إبراهيمُ الإمام، فكان يتيَّمه، ولما أخذ مروانُ إبراهيمَ ويثس من نفسه، أوصى من حضره من خاصَّته أن الأمرَ بعده لأبي العباسِ ثم لعيسى بنِ موسى^(١)، ففعل ذلك أبو العباسِ مدةً

(١) في تاريخ دمشق ٥٧/ ٢٤١: ثم من بعده لأبي جعفر عبد الله بن محمد، ثم لعيسى بن موسى.

خلافته، وأوصى إلى أبي جعفر أن يجعله بعده، فعاب الناس على أبي العباس مخالفته لأخيه إبراهيم، ثم خلعه المنصور بعد ذلك، ولمّا خلعه أقام بالكوفة، ومدة إقامته في العهد ثلاث وعشرون سنة، ثم خلعه المهديّ، وكان يلقب في ولاية العهد بالمرتضى، وهو الذي تولى قتال إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن حسن، واستعمله أبو العباس على الكوفة، فلم يزل والياً عليها حتى عزله أبو جعفر سنة ست وأربعين ومئة، وولّاها محمد بن سليمان بن عليّ.

وفي عيسى يقول ابن هرمة^(١): [من المتقارب]

قضيت اللبانة من حاجتي	وقلت لعبيدي قم فارحل
أتتك الرواحل والمُلجّمات	بعيسى بن موسى فلا تعجل
تأنيت أرجوك إن الرجاء	ء منك على الخير للأفضل ^(٢)
فأنت كريم بني هاشم	إذا المجد ولي إلى المفضل
سبوق إلى قصبات العلى	عطوف اليدين على المعيل ^(٣)
فدونكها يا ابن ساقى الحجيج	فإنني بها عنك لم أبخل
توارثتموها وكنتم بها	أحق وأولى من الجهل

من أبيات.

وكان عيسى إذا حجّ حجّ بأناس من أهل المدينة، ويتعرّضون له فيصلّهم، فمرّ بأبي الشدائد الفزاريّ وهو يُنشد ويقول: [من الرجز]

وعصبة إن حجّ عيسى حجوا	وإن أقام بالعراق دجوا
والقوم ^(٤) قوم حجهم معوج	ما هكذا كان يكون الحج

فسلم عليه أبو الشدائد، فلم يردّ عليه وقال: ويحك تهجو حجّ بيت الله! فاعتذر إليه.

(١) في (خ): هرمة. والمثبت من تاريخ دمشق ٥٧/٢٥٠. وهو إبراهيم بن عليّ، ستأتي ترجمته في الصفحة ٤٥٦.

(٢) في تاريخ دمشق: على الخبر الأفضل.

(٣) في تاريخ دمشق: العيل.

(٤) في (خ): وللقوم، وفي تاريخ دمشق ٥٧/٢٥١: فالقوم.

وولد لعيسى ابنة، فاغتمَّ وامتنع من الطعام، فبلغ ذلك بهلولاً، فجاءه فدخل عليه وقال: أيها الأمير، بلغني أنه ولد لك ابنة فاغتمت، فأيُّما أحب إليك ابنة عاقلة أو ابنٌ مجنونٌ مثلي؟ فقال: لا والله إلا ابنة عاقلة، ودعا بالطعام فأكل.

وبلغ عيسى أن الحسن بن قحطبة أشار على المنصور بخلعه وولاية المهدي، فهذَّده بالقتل، فتمثَّل المنصور بقول جرير: [من الكامل]

زعم الفرزدق أن سيقتل مِربعاً أبشُر بطول سلامةٍ يا مِربع^(١)
ذِكْرُ وفاته:

كانت وفاته بالكوفة لثلاث ليالٍ بقين من ذي الحِجَّة، وكان يومئذٍ على الكوفة رَوْحُ ابن حاتم عاملاً للمهدي، فأحضر القضاة والشهود والقوَّاد وأشهدهم على وفاته، وحضر جنازته، فقيل له: تقدَّم فصلٌ عليه، فقال: ما كان الله ليرى رَوْحاً يصلِّي على عيسى بن موسى، فليقدِّم أكبرُ ولده، فأبوا عليه وأبى عليهم، فتقدَّم العباسُ بن عيسى فصلَّى عليه. وأظلمت الدنيا عند موته يوماً كاملاً.

وبلغ المهديَّ امتناعُ رَوْحٍ من الصلاة عليه، فغضب وكتب إليه: قد بلغني ما كان من نُكوصك عن الصلاة على عيسى، أبنفسك^(٢) أم بأبيك أم بجدِّك كنت تصلِّي عليه! أليس^(٣) ذلك مقامي لو حضرتُ فإذا غبتُ كنتُ أولى به لموضعك من السلطان! ثم أمر بمحاسبته، وكان يلي الخراج مع الصلاة والأحداث.

وتوفِّي عيسى والمهديُّ واجدٌ عليه وعلى ولده، وكان يكره أن يتقدَّم عليه لجلالته، وكان لعيسى خمسٌ وستون سنةً يوم مات.

ذِكْرُ أولاده:

كان له أحدٌ وخمسون ولداً: أحدٌ وثلاثون ذكراً، وعشرون أنثى، فمات من الذكور واحدٌ ومن الإناث ستٌ، فورثه من الذكور ثلاثون ومن النساء أربع عشرة امرأة.



(١) ديوان جرير ٩١٦/٢.

(٢) في (خ): أم بنفسك. والمثبت من تاريخ الطبري ١٦٤/٨.

(٣) في (خ): وليس. والمثبت من تاريخ الطبري.